الشاهد القرآني في الرسالة الشافية للجرجاني

دراسة مقارنة برسائل الإعجاز

بحثٌ مقدّم للمؤتمر القرآنيّ الدوليّ السّنوي (مقدّس 4) المنعقد في مركز بحوث القرآن

بجامعة ملايا– كوالالمبور. ماليزيا.

مقدّم من الباحثتين

مُنى بنت محمّد الشّاهد

بسمة بنت عيسى العنزي

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

2014م

المقدمة

الحمد لله الذي له الحمد كله، والصلاة و السلام على من حمل معجزة اللسان العربيّ المبين، وبعد:

من المتعارف عليه أن البحث البلاغيّ بدأ على أساس دينيّ، ماثل في تدبّر أسرار الكتاب العزيز، ومعرفة أسباب تفوق المعجز الذي قهر بلاغات البشر، وعلا عليها إلى الحد الذي فات به طاقاتهم البيانية، وقدراتهم القولية، وأفضَى إلى أنْ تكون غاية البلاغة العربية متجهة إلى مهمة صفتها التحليل؛ والكشف عن أسرار ذلك الإعجاز.

وإسهامات الأوائل في تحقيق هذه المهمة التحليلية مترافدة، لكنها في الوقت ذاته متنوعة في اتجاهاتها؛ لذا كان لزاماً على الدارس أنْ يكون على وعي بمسارات تلك الاتجاهات، وطرائق تحقيقها لتلك المهمة، وروافد معارفها و استقائها.

ونتتبع في البحث إيراد الشواهد الخاصة بالإعجاز في الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني، منهج دراستها و علّة اختيارها و مقارنتها بشواهد الخطابي و الرّماني ، وتبرز أهمية البحث في محاولة الكشف عن منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي تبنّاه وصولاً لتبيان حقيقة الإعجاز القرآني، و مدى صلته بمناهج الرماني والخطابي من قبله، و كيف يحقق النظر البلاغي تمكين المعنى من الشاهد على الإعجاز .

أهداف البحث:

1- خدمة القرآن الكريم من خلال بعض ما وقف عليه الفكر البلاغي.
2- إبراز دور عبد القاهر الجرجاني في بحثه عن سمت الكلام المعجز، وإظهار أسلوبه وعلة اختياره للشواهد.
3- بيان سمة شواهد رسائل الإعجاز وجهة اتفاقها و افتراقها.

بُنيت خطة البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة: تحوي المقدمة فكرة الموضوع و أهدافه وقيمته والأسباب الداعية له، ويحوي المبحث الأول: تعريف بعبد القاهر الجرجاني نشأته وحياته و أهم ما أُلف حول رسالته، ويحوي المبحث الثاني: الشاهد القرآني في الرسالة الشافية عرض وتحليل ومقارنة.

ثم تحوي الخاتمة أبرز النتائج والتوصيات، و الله ولي التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول : تعريف بعبد القاهر الجرجاني نشأته وحياته و أهمّ ما أُلّف حول رسالته.

اسمه ونشأته

عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة، تصدَّر بجرجان، وصنف التصانيف الجليلة، وكان رحمه الله ضيق العَطَن لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك، وتوفي في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة(1).

يعد عند أهل البلاغة بمنزلة سيبويه عند النحاة ، وبمنزلة ابن جني عند أهل اللغة ، وبمنزلة الجاحظ عند الأدباء والنقاد ؛ فهو إمام في هذا الفرع من فروع المعرفة ، إمامته ليست لسبقه الزمني ، بل لمنهجية النظر عنده فيما نظر فيه غيره من سلفه، إمامة منهاج وليست إمامة سبق زمني .

وهو في الوقت نفسه متكلم على مذهب الأشاعرة ينافح عن هذه العقيدة، خرج علينا عبد القاهر البلاغي من النحو ومن العقيدة ، بغير النحو لا يمكن للمرء أن يكون بلاغيا، وبالبلاغة يمكن للمرء أن ينصر معتقده.

ربما لم يحظ تراث عالم من العلماء بدراسات كالذي حظي بها تراث عبد القاهر الجرجاني، وقد تفاوتت هذه الدراسات واختلفت في المستوى، وطريقة النظر، وجهة التركيز، ومع هذا فإنَّ المنهج التحليلي في تراث عبد القاهر لا يزال بحاجة إلى تثوير؛ فأغلب الدراسات التي عنيت بهذا التراث تَرَكَّزَ اهتمامها على العرض والوصف والتصنيف للقضايا البلاغية التي حواها هذا التراث دون كبير عناية بالواقع التحليلي والمنهج الذي نتج عنه.

من أهمّ ما أُلّف حول رسالته:

- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1427هـ).
- بلاغة عبد القاهر عرض ونقد وتوجيه: مصطفى عبده ناصف، مطبعة شركة التمدن الصناعية، 1948م.

---

(1) ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القِفطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (مصر، دار الفكر العربي، ط1، 1406هـ 1986م) ، ص 188-189.

- شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم: عمر محمد با حاذق،(دمشق: دار المأمون للتراث،ط1، 1418).
- عبد القاهر بلاغته و نقده: أحمد مطلوب،(الكويت: وكالة المطبوعات، ط1، 1393هـ).
- اللغة و الإعجاز والنقد عند عبد القاهر الجرجاني: دراسة استقرائية (لدلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) و(الرسالة الشافية)، الباحث: نور الدين دنياجي، كلية الآداب، 1991م، الدار البيضاء- المغرب.
- نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، الباحث: محمد حنيف فقيهي، كلية اللغة العربية وآدابها، 1959، جامعة القاهرة- مصر.
- النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني، أحمد عبد السيد الصاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979

المبحث الثاني: الشاهد القرآني في الرسالة الشافية عرض وتحليل.

أولًا: بين يدي الرسالة الشافية

هي رسالة صغيرة الحجم لا تصل أن تكون في حجم الكتب، طبعتها دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتور محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

وهذه الرسالة الشافية عن نسخة حسين جلبي المصورة بمعهد مخطوطات الجامعة العربية، وقد اعتمد في نشرها أيضاً على مخطوطة مصورة عن الأصل المحفوظ ضمن مجموعة بدار الكتب، وتبدأ الصفحة الأولى في الرسالة برقم (190) في المجموعة، وتنتهي برقم (208). وهي مكتوبة بخط نسخ واضح مشكل، به كثير من الأخطاء الإملائية وبعض أخطاء الشكل، وعلى الصفحة الأولى بخط الناسخ هذه العبارة: "هذه الرسالة خارجة من كتابه المرسوم بدلائل الإعجاز" وبمراجعة كتاب الدلائل المطبوع تبين أن هذه الرسالة ليست خارجة منه نصاً، وهي تحتوي على (18) ورقة وبضعة أسطر، من القطع المتوسط مسطرتها (18) سطراً، والسطر يحوي بين 12-14 كلمة، بدون تاريخ. وبالصفحات آثار عرق وببعض الصفحات أختام وقف. وتناول عبد القاهر في هذه الرسالة جوانب من فكرة الإعجاز.. وتعرض في سياق الرسالة لنواحٍ من ميدان الأدب يبين فيها تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ.[1].

---

[1] ينظر: نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني: محمد حنيف فقيهي، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص70.

ثانياً: بين الرسالة الشافية و الدلائل.

جاءت الرسالة الشافية ملحقةٌ بكتاب دلائل الإعجاز في طبعة الشيخ محمود محمّد شاكر، وهي بعض فصولٍ أفرد لها الجرجاني القول مختصّة بالدليل على الإعجاز.

وهنا يجب التفريق بين منهجية النظر في كتاب الدلائل للجرجاني و بين رسالته الشافية من حيث إن هناك اتحاد في الغاية وافتراق في جهة النظر.

أما الغاية فهي بيان الطرائق الموصلة للإعجاز، والتي جعلت من القرآن الكريم بياناً علياً يسمو على أي بيان عال غيره من جنسه .

إن الدلائل كتابٌ معقود لبيان ما تجدد بالقرآن في منهاج الإبانة عن المعاني، ولم تكن العرب تعرفه أو تطيقه، ولا يتأتى لها البتة إلى أن تقوم الساعة أن تطيقه أو تبلغه فتأتي بمثله، معنى ذلك أن اللسان العربي قبل نزول القرآن كان في إبانته عن المعاني يتخذ وجوهاً و مناهج وسبلاً يبين بها عن مكنون النفوس، فلما جاء القرآن سلك مناهج غير التي سلكت العرب.

أما جهة النظر فجدير بالذكر أن بعض العلماء والباحثين جعلوا الرسالة والدلائل من بابة واحدة، وأن العملين يشبهان بعضهما البعض، على حد تعبير الشيخ عمر باحاذق عن عمل الشيخ الجرجاني في رسالته، يقول: " وظاهر في نظام هذه الرسالة أن الإمام الجرجاني كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز القرآني، وهو نفس ما صنعه في وضعه لكتاب (دلائل الأعجاز) ومن ثم كان كتاب دلائل الإعجاز مقدمة لفهم الإعجاز وليس حديثاً من صميم الإعجاز نفسه"! (1)، وهنا تتوجّب وقفتان:

الأولى: في التفريق بين مناط النظر في الرسالة الشافية و الدلائل.

والثانية: في سبق الرسالة الشافية للدلائل لا العكس.

الرسالة الشافية في الإعجاز ليست في أوجه الإعجاز البلاغي إنما هي رسالة في العقيدة ،لأنها لا تتكلم في الوجه البلاغي لإعجاز القرآن الكريم، إنما هي معقودة لمناقشة أولئك الذين يرون أن القرآن غير معجز البتة بأي طريق، ومناقشة الذين يقولون أنه معجز ولكنّه معجز بالصرفة، فجمع الشيخ عبد القاهر الجرجاني بين الفريقين،

---

(1) شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم: عمر محمد با حاذق،(دمشق: دار المأمون للتراث،ط1، 1418) ص16.

ونقض مقالة كلٍّ في هذه المسألة، وهي استدلال على إعجاز القرآن، لكنها مسألة لا يُعنى بها في الدّرس البلاغي ، فالدرس البلاغي ليس مهموما بإثبات وتقرير أن القرآن معجز، ولكنه مهمومٌ ببيان وجه إعجازه البلاغي ، لأن للإعجاز القرآني وجوه عدة بعضها جزئي، ووجه واحد منها هو الوجه الكلي وهو وجه الإعجاز البلاغي .

ومعنى وجه إعجاز كلي أي هو إعجاز قائم في كل سورة وكل معقد أو فصل، وكل صورة كليّة وكل آية في سياقها، لأن الآية القرآنيّة خارج سياقها لا تعدّ معجزة عند أهل العلم، وعبد القاهر في رسالته الشافية لم يتكلم في هذا وإنما عقد لذلك كتاب دلائل الإعجاز.

عبد القاهر أسمى عمله الذي هو مدار الحديث: "الرسالة الشافية"، وتسميتها بالشافية براعة استهلال؛ ليدلّ العنوان على أن ما في هذه الرسالة شفاء من داء وبيل، وهو داء القول بأن القرآن غير معجز بأي وجه، أو أن القرآن معجز بوجه واحد وهو الصّرفة، "و ظاهر من نظام هذه الرسالة أن عبد القاهر كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبيّن أسراره، أما تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه فقد فصّل القول فيه في كتابه (دلائل الإعجاز)" [1].

والناظر لعنوان كتاب: (دلائل الأعجاز) سيدرك أن الدّلائل جمع للدّلالة، أما الدّليل فجمعه أدلّة، إذ أنّ "دليل" لا تجمع على دلائل وإنما تجمع على أدلة ، و"الدّلالة" كالرّسالة تجمع على رسائل، فجمع الدّلالة دلائل، لذا؛ فإن عبد القاهر في هذا الكتاب لا يتكلم على أدلّة الإعجاز وعلى برهان أنه معجز؛ لأن هذا أمر قد فرغ منه في كتابه الرسالة الشافية. هو يتكلم في كتاب دلائل الإعجاز عن الدّلالات، عن معالم الإعجاز البلاغي ووجوهه ، ووسائله، وفرق بين أن تتكلم في الدليل والبرهان والحجة لتثبت ما ليس بثابت، وأن تتكلم في الدّلالة على ما هو ثابت.

ومن هنا نقول بأسبقية الدلائل على الرسالة الشّافية، حيث إنه لمـّا ثبت عند عبد القاهر إعجاز القرآن في رسالته الشافية ، تفرّغ لذكر وجوه الإعجاز، ومعالمه ، وملامحه في دلائل الإعجاز. و قد أشار في كتابه هذا إلى الإعجاز بالصّرفة في موضعين إشارة عجِلة لا ليقرّر هذا الوجه وإنما ليبيّن سفه القائلين به، وضلالتهم، أما الكتاب كله فمعقود للقول في دلالة إعجاز بلاغة القرآن.

---

[1] نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني: محمد حنيف فقيهي، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص70.

أيّد الشيخ محمد أبو موسى هذا الرأي فقال عن عمل عبد القاهر في الرسالة: "يتطرق لموضوع الصرفة، وهو الموضوع الأساسي للرسالة، ويعد هذا مدخلاً لدراسته في دلائل الإعجاز، لأنه ينتهي إلى أن القرآن معجز بنظمه،..ثم دار كتاب دلائل الإعجاز كله حول البحث عن الشيء الذي تجدد في القرآن فقهر و بهر،.. ولهذا يصح لنا أن نؤكد أن الرسالة الشافية كُتبت قبل دلائل الإعجاز"[1] .

ثالثاً: أبرز شواهد التحدي

نقف عند أبرز الشواهد لننطلق في استقراء الشواهد التي ذكرها الشيخ عبد القاهر في رسالته الشافية و نوازن بين ما ذكره وما اتُّفِق عليه.

أجمع العلماء أنّ التحدّي كان أولا في الإتيان بمثل القرآن. قال تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮇ ﮈ ﭼ [الطور: ٣٣ – ٣٤]

فلما عجزوا تُحدّوا بالإتيان بعشر سور مفتريات.

ﭦ ﮈ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮇ ﮈ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ [هود: ١٣ – ١٤]

فلما عجزوا تُحدّوا بأن يأتوا بسورة مثله.

ﭦ ﮈ ﭽ ﮯ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [يونس: ٣٨]

ثم كرر نفس التحدي بنفس المقدار حيث جزم بأنهم لن يستطيعوا ولكن بفرق بلاغي دقيق.

ﭦ ﮈ ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ ﭼ البقرة: ٢٣ - ٢٤ .

---

[1] ينظر: الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1427هـ)، ص370

قال الشيخ عبد الله دراز في هذه: " انظر كيف تنزّل معهم في هذه المرتبة من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل، كأنه يقول: لا أكلّفكم بالمماثلة العامة، بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ومطلقها، وبما يكون مثلاً على التقريب لا التحديد، وهذا أقصى ما يمكن من التنزّل،... فتأمل هذا الفرق فإنه طريف"(1) .

وقد أتاح لهم في كل مرةٍ أن يحشدوا من شاؤوا و أن يدعوا من استطاعوا، ثم سدّ عليهم منافذ القول دون مواربة في آية سورة الإسراء حيث قال:

چ ڀ ٺ ٺ ٹ ٿ ٿ ٹ ٽ ٽ ٽ ٽ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ [الإسراء: ٨٨].

هذا هو ترتيب آيات التحدي من حيث النزول حسب أصح الأقوال(2).

رابعًا: الشواهد في الرسالة الشافية

أ- نظرة في الشواهد عامةً

يلحظ من الرسالة أن الجرجاني استشهد بالروايات في الشعر أكثر من استشهاده بالقرآن، لأنه من البيّن عندنا والمقطوع به أن حُسن فهم شعر العربية هو الطريق الأمثل لحسن فهم القرآن الكريم ، من لا يحسن فهم الشعر وتذوقه وتبيّن مكامن الحسن، والاقتدار على استنباطها واستنطاقها واستخراجها وتقريبها هو بالضرورة أعجز عن أن يفهم القرآن وأن يدرك مكامن أسرار بلاغته أو يقتدر على الإشارة إليها، فالاجتهاد في التمييز في فهم الشعر أداة من أدوات فهم القرآن الكريم، وبالتالي فإن من لا يُحسن الشعر فهماً لا يُحسن القرآن فهما.

وعى الجرجانيّ هذا، وجعله منهجه في الرسالة، و سوّغ له في الدلائل حين قال عن الشّعر: "أردته لأعرف به مكان بلاغة، وأجعله مثالا في براعة، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة، وأنظر إلى نظمه ونظم القرآن، فأرى

---

(1) ينظر: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، (الدوحة: دار الثقافة، ط1، 1405هـ)، ص84.

(2) أيد هذا الترتيب السيوطي في كتابه الإتقان والفخر الرازي في التفسير الكبير والرافعي وغيرهم. وذهب بعضهم إلى غير ذلك من الأقوال ولا شأن لهذه الاختلافات في ترتيب آيات التحدي إلا إثبات أن القرآن قد تحدى العرب بما يستدعيه المنطق من التحدي متنزلاً معهم من الأخف فالأخف.

موضع الإعجاز، وأقف على الجهة التي منها كان، وأتبيّن الفصل والفرقان" [1] . و قد ظهر في الرسالة إلحاح الجرجاني عليها و اتكاؤه الظاهر إليها.

ب- الشواهد القرآنية في الرسالة الشافية وسياقاتها.

نظرة في الشواهد القرآنية داخل رسالة الجرجاني يتضح أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شواهد يتوصّل بها إلى الإعجاز

وهي ما جاءت في سياق آثار و مرويات و قصص عن العرب و مظانّ إبداعهم في الشعر و امتلاكهم لواءه[2]، واستشهاده بهذه الآثار يمنح العمل هيأة وسمتاً من جنسه، يقول الشّاطبي : فإذا قلنا إنّ القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربيٌّ فبمعنى أنه أُنزل على لسان معهودِ العرب في ألفاظها الخاصّة، و أساليب معانيها، وأنّها فيما فُطرت عليه من لسانها تخاطبُ بالعامّ يراد به ظاهره، وبالعامّ يراد به العامّ في وجهٍ والخاصّ في وجه، وبالعام يراد به الخاص، .... وكلّ هذا معروف عندها لا ترتاب في شيء منه، هي، ولا من تعلّق بعلم كلامها"[3] .

القسم الثاني: شواهد خاصّة بالإعجاز

جاء بها الشيخ الجرجاني ليثبت بالدليل ما انبرى له من إثبات الإعجاز، و بمطالعة شواهده نجده استشهد بشاهدين فقط من شواهد التحدي، مكرراً لهما، مع مناط نظرٍ مختلف في الآية الواحدة كلّ مرة، وهذه إلمامة بسياقاتها في مظانها:

- ❖ قوله تعالى:

چ ڀ ٺ ٺ ٽ ٽ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ چ [الإسراء: ٨٨].

---

[1] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1413هـ)، ص26

[2] ينظر: الرسالة الشافية: عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1413هـ)، ص583 و ص585.

[3] ينظر: الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحق الشاطبي، شرح الشيخ عبد الله دراز، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط2، ج2) ص66.

وجاء به أولاً في الاحتجاج لدلالة الأقوال و الأفعال على إعجاز القرآن [1]. حين فنّد شبهة القوم الذين تُحدُّوا و الزمان الذي تُحدِّيَ فيه، مفاد الشبهة أنه لو كان أشعر شعراء الجاهلية من العرب أحياء!، حتى إذا تُحدُّوا إلى معارضة القرآن لقاموا بها و استطاعوها.

دحض الجرجاني هذه الشبهة، وأتى –ضمن ما أتى به في رده– بهذه الآية في سياق الرد على من قال باستطاعة شعراء الجاهلية أن يعارضوا القرآن لو كانوا أحياء.

و مجمل الشاهد في استشهاده بالآية: أنه من المستحيل أن يعرف العرب لما تُحُدّوا إلى القرآن شبهاً و نظماً ثم تتلى عليهم هذه الآية ولا يذبّون عن قدرتهم ومعرفتهم وعدم تقاصرهم عن الإتيان. بل اكتفوا بالصمت و الإذعان.

فالجرجاني نظر هنا إلى دلالة الحجاج التي تستتبع الزعم إن كان زعماً، وتصمت عنه إن كان حقاً و صدقا. وما دام أن موقفهم من الآية لا يخرج عن اعترافهم بالعجز فيما بينهم و بين أنفسهم، أو تلفيق تهم من أعوزته الحيلة، بالنسبة للسحر و الكهانة وغيرها، فانتفاء الشك في الإعجاز أوجب، وحصول اليقين بإعجازه الناقض للعادة أوضح و أثبت.

❖ ٹ ڈ چ ڍ پ پ ڀ ڀ چ [هود: ١٣]

وجاء به في تفصيل القول في معنى التحدي [2]، وإبطال الاحتجاج بأن التحدي كان في أنفس معاني القرآن. مفاد الشبهة هنا: أن التّحدي قُدِّر ليُطلَبَ التعبيرُ عن معاني القرآن بأعيانها بلفظ يشبه لفظه، و نظم يوازي نظمه، و ردّ عليهم الجرجاني بأنّ مظنّة التحدّي في أن يجيئوا بأي معنى شاؤوا بنظمٍ يبلغ نظم القرآن في الشرف أو يقاربه، ودلل على هذا بالآية السابقة، و الشاهد فيها كلمة: [مثله] كما بيّنه و وضّحه: " أي مثله في النظم، وليكن المعنى مفترىً كما قلتم، فلا إلى المعنى دعيتم، ولكن إلى النّظم" [3].

فاعتناء الجرجاني لهذه الآية هنا اعتناء ناظرٌ فيه للشاهد المناط أخذه منها، وهو التماثل في النظم، دون الالتفات للعدد المتحدّى به أو للافتراء نفسه.

---

[1] الآية في الرسالة الشافية: ص588

[2] الآية في الرسالة الشافية: ص606

[3] الرسالة الشافية: ص606

❖ چ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڤ چ [الإسراء: ٨٨].

جاء الجرجاني رحمه الله بآية التحدّي مرة ثانية في رسالته، و استخرج ممّا تحويه ما يدل على فساد القائلين بالصرفة[1]، فغرض مجيئها هذه المرة غير الغرض الذي جيئت له أولاً.

جاءت المرة الأولى في سياق من أنكر الإعجاز قولاً واحداً[2]، وجاء الشيخ بها ثانيةً في سياق الرد على من قال بالإعجاز ولكن من طريق الصّرفة. مفاد الشبهة في هذا السياق: أنّ هناك ثمة نقصان حدث في فصاحة العرب من غير أن يشعروا به، و ردّ الجرجاني على هذه الشبهة من وجهين: الوجه الأول بأن ألزمهم أولاً أن يقضوا في النبي صلى الله عليه و سلم بما قضوا في العرب، من دخول النقص على فصاحتهم، إذا امتنعوا عن ذلك حصل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلا عليهم الآية في حال يقدر فيه أن يجيء بمثل القرآن، وبما يوازي شرفه و علوّه، إلا إذا افتروا جهالةً أخرى و قالوا بأن المصطفى صلى الله عليه و سلم كان في الأصل دون الفصاحة، وهو زعم باطل.

الوجه الثاني: و أخذه من معنى الآية نفسه، حيث انطلق منه ليرد على من قال بأن العرب قدروا على المعارضة ثم نزعت منهم، وأنه لا يستسيغ العقل أن يطلب التحدي في الشيء يُمنَعُه الإنسان بعد القدرة عليه، يقول: " ليس في العرف ولا في المعقول أن يقال: [لو تعاضدتم واجتمعتم جميعكم لم تقدروا عليه]، في شيءٍ كان الواحد منهم يقدر على مثله، و يسهُل عليه،..ثم يمنعون منه= وإنما يقال ذلك من حيث يراد أن يقال: [إنكم لن تستطيعوا مثله قط، ولا تستطيعونه البتّة على وجه من الوجوه، حتى إنكم لو استضفتم إلى قُواكم و قُدَركم التي لكم قوىً وقُدَراً، وقد استمددتم من غيركم، لا تستطيعوه أيضا] = من حيث أنه لا معنى للمعاضدة و المظافرة و المعاونة إلا أن تضمّ قدرتك إلى قدرة صاحبك حتى يحصل باجتماع قدرتكما ما لم يكن يحصل"[3]. وهذا هو بيان معنى آية التحدّي، صاغه الجرجاني في مساق الرد على شبهة من شبه القول بالصرفة.

❖ ٹ ٹ چ ٱ ٻ ٻ ٻ پ ٻ ٻ پ چ [هود: ١٣].

---

[1] الآية في الرسالة الشافية: ص614

[2] ينظر للصفحة السابقة من هذا البحث.

[3] ينظر: الرسالة الشافية: ص616

جاء هذا الشاهد برد زعمهم إذا ذهبوا إلى وجه أنّهم تُحدّوا بأن يأتوا في أنفس معاني القرآن بمثل نظمه ولفظه(1)، و استدلال الجرجاني هنا على فساد زعمهم يركّز فيه على الافتراء، و أن هذا الافتراء قد نُعت به الرسول صلى الله عليه وسلم حين جاء بالقرآن، وهو وصف لا يكون للفظ أو النظم، بل يكون للمعنى، معنى هذا أن يكون المراد: إن زعمتم أن الرسول صلى الله عليه وسلم افترى القرآن وجاء به من عند نفسه، ثم قال أنه وحي، فضعوا عشر سور و افتروا معانيها، كما زعمتم أن المصطفى قد افترى القرآن. وخطأ أن يُظن أن التحدي كان أن يعمدوا إلى أنفس معاني القرآن فيعبّروا عنها بلفظ و نظم يشبه نظمه و لفظه تحريفاً وخطلاً ظاهراً.

ثم ذكر عبد القاهر وجوها أخرى في فساد هذا الوجه، كان وجه استشهاده بالآية أقواها، لأنه راجع إلى استخراج المعنى من ترتيب الكلمات في الآية، وأن بناء ألفاظها لا يحتمل إلّا هذا الوجه.

ج- الشواهد القرآنية عند الرماني والخطابي.

النكت في إعجاز القرآن للرّمّاني

اسمه ونشأته

يحسن أن نعرّف تعريفاً موجزاً بالرّمّانيّ قبل أن نعرّج على شواهده في رسالته، هو عليّ بن عيسى أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني، ولد في سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة، وكان من أهل المعرفة مفتنّاً في علوم كثيرة كالفقه، والقرآن، والنحو، والكلام على مذهب المعتزلة. توفي سنة أربع وثمانين وثلثمائة للهجرة.(2)

بين يدي رسالته

كتب الرمانيّ رسالته جواباً على سؤال لشخص طلب إليه تفسير تلك النكت في إجمال، وبدون تطويل في الحجاج، يستهلها بردّ هذه النكت إلى سبع جهات، ويبتدئ الحديث عن البلاغة فيها وأنها على ثلاث طبقات: عليا ووسطى ودنيا، وأنها -أي البلاغة- على عشرة أقسام ويفصل الحديث عنها في كل قسم(3).

شواهد الرماني

---

(1) الآية في الرسالة الشافية: ص617

(2) ينظر: إنباء الرواة: القفطي, ص 294.

(3) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1992م) ، ص 103، 104.

من الملاحظ أن شواهد الرماني جاءت في بيان أبواب البلاغة التي قسمها إلى عشرة أقسام؛ فقد أتت على سبيل المثال للقاعدة، فيضرب مثلا في باب التشبيه بإيراده قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ} [إبراهيم: 18].

بدأ يشرح بحسه الأدبي،قائلاً : "إن هذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة"(1) و يلحظ في شرحه للشواهد استخدامه لطريقة الشرح المباشر، وهي طريقة تخدم غرضه من الكتاب الذي كان جوابا لسائل؛ إذ أن الشاهد يأتي مصاحبا للقاعدة البلاغية، وشارحا لها ، وقد أكثر من الشواهد القرآنية في باب البلاغة، بينما أقلَّ رحمه الله في بيانه لوجوه إعجازه، وهو إن دلّ فإنما يدلّ على تركيز الرماني رحمه الله على الشاهد الذي يخدم بلاغة القرآن المعجز، والتي تحتاج إلى إعادة نظر وتدبر في بيانها، وهذا ما نجده في إيراده لأكثر من شاهد في باب واحد، لقد كان عقل الرمانيّ في إيراد الشواهد عقلاً بلاغيا، يستنبط الفكرة ويسوق المثال تحت الباب المعقود، ثم يشرح من غير إطالة ولا طرح حجج؛ لمناسبتها غرض الرسالة.

بيان إعجاز القرآن للخطابي

أ. اسمه ونشأته

الخطابيّ هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، كان معاصراً للرماني، بل أسنّ منه؛ إذ ولد سنة 319هـ وتوفي سنة 388هـ.

قال السمعاني: كان الخطابيّ حجة صدوقا، وقد ذكره الثعالبي في كتابه: (يتيمة الدهر) وقال: كان يُشَبَّه في زماننا بأبي عبيدة القاسم بن سلام، وتذكر بعض المصادر أن اسمه: حمد وقد سئل عن اسمه فقال: اسمي الذي سُمِّيته حمد لكن الناس كتبوه أحمد فتركته عليه.(2)

ب. بين يدي رسالته

---

(1) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،(مصر، دار المعارف، ط3، 1973م) ص82.

(2) ينظر: معجم الأدباء: شهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغروب الإسلامي، ط1، 1414هـ 1993م ، ج2)، ص 486.

الناظر لرسالة الخطابيّ في الإعجاز يدرك من الوهلة الأولى اتساع نظر الشيخ واطلاعه على ما كُتب في هذا الباب، وعدم الرضا عما صدر من كتابات في الإعجاز؛ لتعذر معرفة وجوه الإعجاز في القرآن كما ذكر ذلك في مقدمته، وهذا ما جعله بعد ذلك يذكر وجوه إعجاز القرآن الأربعة: أولها: العجز: وهو ما كان من ترك معارضته مع وقوع الحاجة إليه، وقال عنه: "هو مقنعٌ لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجوه الإعجاز فيه"[1]. ثانيها: الصرفة: وقد أبطلها وردّها، ثالثها: الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان: وقد ضعّفه، ثم الوجه الرابع وهو البلاغة[2] والتي قسمها إلى بلاغة عليا ووسطى وما دون ذلك، وأن القرآن في الطبقة العليا. والخطابي لم يفسر وسيلة الإعجاز، بل أعلن أوجهه باعتباره وصفا لامتياز القرآن على غيره من أساليب العرب، وهي الطريق نفسها التي سار عليها معاصره الرماني[3]، كما اتضح من خلال البحث.

ج. شواهد الخطابي

إن الخطابي رحمه الله ذو عقل لغويّ، جاءت شواهده القرآنية في بيان إعجاز القرآن تحمل نفَس اللّغوي في كيفية رده على مزاعم الطاعنين، أو في إيضاح فكرة، وشرح لفظة غامضة ، وكانت تدور شواهده حول محورين:

المحور الأول: شواهد جاءت دليلا لإثبات فكرة في سياق، وهي من طرق تأكيد الكلام وزيادته فهما واستيعابا، معتبرةٌ عند أهل العلم جميعا إذ يذكر الشاهد مع شرحه، في مثل قوله تعالى:{مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: 58]، فقد أورد الآية في سياق إثبات صفة القوم الذين أنزل عليهم القرآن المعجز، وهو يسعى إلى ضرورة الإقناع من خلال طرح الأمثلة، والوصول إلى نتيجة واحدة. يلحظ قوله بعد الآية السابقة معلّقاً :"فكيف كان يجوز على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة ولزوم الضرورة أن يفعلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه..." ثم يورد المثال: "ومعلوم أن رجلا عاقلا لو عطش عطشا خفيفا خاف منه الهلاك على نفسه وبحضرته ماء معرض للشرب فلم يشربه حتى هلك لحكمنا أنه عاجز عن شربه غير قادر عليه"[4].

---

[1] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،(مصر، دار المعارف، ط3، 1973م) ص22.

[2] ينظر مداخل إعجاز القرآن:محمود شاكر،(مصر، دار المدني، ط1، 1423هـ- 2002م) ص 8.

[3] ينظر معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد بركات أبو علي، (الأردن، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1405هـ 1985م) ، ص86.

[4] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،(مصر، دار المعارف، ط3، 1973م) ص22.

كما أنه رحمه الله لم يكن يصل إلى نتيجة ما يقول إلا بعد إيراده: " قلت وهذا من وجوه ما قيل فيه أبينها وأيسرها موؤنة وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه"[1] .

المحور الثاني: شواهد جاءت للرد على مزاعم الطاعنين، وقد استخدم الخطابي رحمه الله أسلوب الإقناع في إيراد السؤال كاملا مع كامل حجج المخالف، ثم إيراد الجواب كاملا مع الحجج والعودة إلى أصل العلة في طرح السؤال مع عدم الخروج بعيدا عن مظانه، وإدخال المتلقي في دائرة النقاش العلمي في مثل رده لمزاعم الطاعنين في قوله تعالى: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ﴾ [ص: 6].

هذا الشاهد ذكره في سياق الرد على من زعم أنه لو قيل بدله: امضوا وانطلقوا كان أبلغ، ثم بدأ يفند مزاعمهم بإيراد الحجة العقلية إذ قال: "فليس الأمر على ما زعمه بل المشي في هذا المحل أولى وأشبه بالمعنى وذلك لأنه قصد به الاستمرار على العادة الجارية ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم ولا الانتقال عن الأمر الأول وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به"[2].

حتى إذا أورد الخطابي الاستنباط الشارح للمعنى ذكر الحجة في المعنى الذي أوردوه بدلا عن الآية وأنه مناف للمعنى فقال: "وفي قوله امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج ليس في قوله امشوا والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه"[3] ، وهكذا يمسك الخطابي بيد القارئ لينظر بعين المتدبر كيف كان القرآن معجزا، ولم تأخرت أفهام القوم عن مجاراته، وعجزوا عجزا مميتا عن مماتنته، وقد أمسك بالعلّة يقلبها في عقله اللغوي، ويسوق المرويات وأقوال العرب لتزيد الحجة إثباتا، وحتى يعود العقل المحتج إلى صوابه من المعين نفسه الذي خرج منه سؤاله.

إنّ كثرة الشواهد القرآنية عند الخطابي والرماني لا تدل إلا على شيء واحد :وهو خدمة غرض رسالتهما وأسلوبهما في طرح فكرة الإعجاز ثم عقلهما الذي اختار هذه الطريقة وسار عليها.

---

[1] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،(مصر، دار المعارف، ط3، 1973م) ص22.

[2] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،(مصر، دار المعارف، ط3، 1973م) ص 43.

[3] ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د.محمد زغلول سلام، (مصر، دار المعارف، ط3 ،1973) ،ص 43

كانت الشواهد عند الشيخين تخدم الفكرة، وقد أسسا قولهما في الإعجاز، وسارت عليه الشواهد سيرا مباركا جامعا بين التأسيس للفكرة، وبين بيان مناط الإعجاز، من غير شرح لوسيلة الإعجاز الذي نجده جليًا واضحا عند الإمام الجرجاني رحمه الله.

بلغت الشواهد القرآنية عند الخطابي ثمانيةً وستين شاهدا، استشهد بآية من آيات التحدي التي ذكرها الجرجاني، وهي قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) تكرر ذكرها مرتين: المرّة الأولى: في بيان إعجاز القرآن؛ حين ذكر أن من أوجه الإعجاز الصرفة وأن الآية تشهد بخلاف ذلك تماما، وقد رد هذه الشبهة؛ لأنه لا اجتماع بين البلاغة والصّرفة، وحينما ردّ الصّرفة بيّن أنّ الله سبحانه و تعالى لو كان سلبهم القوى لما ذكر تعاونهم وتساندهم وتظاهرهم، ولأن الأعمى لا يهدي الأعمى، وهذا الوجه لقوته تناقله أهل العلم[1] قال: "وهذا أيضا وجه قريب إلا أن الآية تشهد بخلافه وهي قوله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فأشار في ذلك إلى أمرٍ طريقه التّكلف والاجتهاد، وسبيله التأهّب والاحتشاد، والمعنى في الصّرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها والله أعلم "[2] ، فالخطابي لما تدبر معنى الصرفة فطن إلى أن الآية بما تحمل من دلالاتِ تأهُّبٍ تردُّ الشبهة، واستنباطه يدل على عقل حي مشرق، أما ردوده فكانت من أعمق ما قيل رحمه الله.

ثم ذكر الشاهد نفسه من آية التحدي في سورة الإسراء بعد أن رد على زعمهم من أن حظ القرآن من الغريب قليل، قياسا على ألفاظهم وهم عرب فصحاء قادرون على التصرف، فما الذي عاقهم؟ ولم عاقهم؟ وقد تلمّس الجواب وذكر أن الذي عاقهم شيء في نفوسهم، أجدى عليهم في مبلغ آرائهم وعقولهم وهو مناجزتهم إياه الحرب حتى يغيب موضع الفضل بين الكلامين، ثم ذكر أن من أوصاف بلاغة القرآن أموراً لا تجتمع لأحد من البشر ولا يقدر عليها وإن كان أفصح الناس، منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك أفهامهم جميع المعاني المحمولة، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي يكون بها ارتباطها وائتلافها، ثم يذكر رحمه الله خبر عمر وابن عباس رضي الله عنهم وهم من

---

[1] ينظر الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د.محمد أبو موسى، (القاهرة، مكتبة وهبة، 1427هـ 2006م) ، ص353

[2] ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د.محمد زغلول سلام، (مصر، دار المعارف، ط3 ،1973) ،ص 23

الفصاحة بمكان، مع هذا غاب عنهم معرفة بعض ألفاظ القرآن وأنه ليس كل من أوتي حظا من المعرفة بالبيان تكون له القدرة، ما لم تجتمع عليه الشروط السابقة، وأنّى لهم؟ يلحظ أن الخطابي يذهب في كلامه مذهب المتتبّع في معرفة الحقيقة، ولا يغيب عن ذهنه المتوقّد أن المعرفة الناجزة تحتاج إلى حجة وبيان واستشهاد.

أما الرماني رحمه الله فقد بلغت شواهده مئة شاهد وعشرة، ولم يذكر أي شاهد من شواهد التحدي التي ذكرها الجرجاني، ومناط النظر عندنا أن نستوعب الفرق بين استخدام كل عالم للشاهد القرآني، فالرماني وهو رجل ذو حس أدبي كان شواهده معقودة للنظر في بلاغة القرآن وإعجازه، وقد كان حديثه حديثا بسيطا غير مأخوذ بحجج وأخبار ومرويات، يتتبع مورد البلاغة، ويكتب بنفَس الأديب اللطيف ونجد أن دراسته للشواهد كان موجزة ولا تخرج عن الباب المعقود لها مما جعل كلامه دقيقا.

الخاتمة

الحمد لله وحده و الصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، و بعد:

لقد خدم الفكر البلاغيّ قضية الإعجاز التي اقتسمتها العلوم المتصلة بالقرآن و عنيت باستنباط وجه الإعجاز في القرآن الكريم، وإنّ بحث الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن سمت الكلام المعجز كان واضحاً في رسالته، ظهر أنه استشهد بشاهدين فقط مكرراً لهما، الشاهد الأول آية التحدي في سورة الإسراء، قوله تعالى **ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ**[الإسراء: ٨٨]، و الشاهد الثاني قوله **ﭑ ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ**[هود: ١٣].

نبه الشيخ محمد أبو موسى أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني استخرج من آية الإسراء شيئاً يضاف إلى ما استخرجه الخطابيّ منها، وهو "أن هذا الكلام إنما يرمى به في وجه من لم يستطع هذا النظم في الذي مضى، ولن يستطيعه في الذي هو آت، وأنه لا يقال لمن كان يستطيعه فيما مضى ثم صار لا يستطيعه، والقول بذلك خروج للكلام عن معانيه"(1)

---

[1]) الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1427هـ)، ص374

والجرجاني في الرسالة هادىء الأسلوب، رزين التفكير، ينحو منحى المناطقة ويتجه اتجاه الفلاسفة، ويلخص الدفاع عن الإعجاز بأن الشواهد من دلائل الأحوال وقرائن الأقوال تثبت أن العرب أذعنوا له، ولم ينكروا أنه فوق مستواهم، وأبعد مما تتناوله قدرتهم. لوحظ أنه لا يتعرض للسور، بل يجعل بضاعته كلها من منخول الشعر وجيد النثر موازناً بين قول وقول، ومرجحاً البيت على بيت ، و شارحا للشاهد من وجوه متعددة، في طرق تطبيقية لا تدع مجالاً للشك في نفس المتفهم لها، ولا تجعله يتردد نوعاً من التردد في أن أمور ما في القرآن من نواحي الإعجاز هي تلك الناحية التي اختار الإمام الجرجاني أن يكون مدافعاً عنها، مبيناً أنها الطريقة التي لا يمكن أن يجحدها جاحد، أو ينكرها منكر، **ويجدر بالذكر أنه** لا يستطيع إنسان أن يفهم نظريته في الإعجاز، ولا مذهبه فيه، حتى يصل كتابيه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز بعضهما ببعض.

كما يظهر من البحث أن الشواهد عند الشيخين (الرماني و الخطابيّ) تخدم الفكرة التي عني بها غرض كل رسالة، وقد أسسا قولهما في الإعجاز، وسارت عليه الشواهد سيرا مباركا جامعا بين التأسيس للفكرة، وبين بيان مناط الإعجاز، من غير شرح لوسيلة الإعجاز الذي نجده جليًا واضحا عند الإمام الجرجاني رحمه الله.

بلغت الشواهد القرآنية عند الخطابي ثمانيةً وستين شاهدا، استشهد بآية من آيات التحدي التي ذكرها الجرجاني، وهو ذو عقل لغوي، جاءت شواهده القرآنية في بيان إعجاز القرآن تحمل نفَس اللّغوي في كيفية رده على مزاعم الطاعنين ، أما الرماني رحمه الله فقد بلغت شواهده مئة شاهد وعشرة، ولم يذكر أي شاهد من شواهد التحدي التي ذكرها الجرجاني، وجاءت الشواهد في بيان أبواب البلاغة، فالرماني وهو رجل ذو حس أدبي كانت شواهده معقودة للنظر في بلاغة القرآن وإعجازه، وقد كان حديثه حديثا بسيطا غير مأخوذ بحجج وأخبار ومرويات، يتتبع مورد البلاغة، ويكتب بنفَس الأديب اللطيف ونجد أن دراسته للشواهد كانت موجزة مما جعل كلامه دقيقا.

هذا ويوصى بأن تُدرس الشواهد القرآنية في بحوث إعجاز القرآن، إذ أن الشاهد لم يذكر لمجرد كونه دليلاً من القرآن فحسب، إنما لكونه دالاً على ما أريد أن يحصّل به بيان القرآن، و يُفهم.

وفي الختام: يسلك الإنسان مسلكاً في العلم قد يصل لمبتغاه ويقع على شيء مما يروم، وقد لا يصل، وعزاؤه أنه مهّد، واستشرف، وطلب، و همّ، و إن بحثنا هذا مهّد، وهمّ أن يفعل، ولعله كاد أو قارب، ليكون بذرة بحوث أخرى أمكن علماً و أكثر نضجاً. والحمد لله ربّ العالمين.

المراجع

- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1427هـ).
- إنباء الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القِفطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (مصر، دار الفكر العربي، ط1، 1406هـ 1986م) .
- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1992م .
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،(مصر، دار المعارف، ط3، 1973م .
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1413هـ).
- شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم: عمر محمد با حاذق،(دمشق: دار المأمون للتراث،ط1، 1418).
- كشّاف الرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية حتى 1425هـ: عبد الله محمد الجيوسي، (دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط1، 1427هـ).
- مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، (مصر، دار المدني، الطبعة الأولى، 1423هـ 2002م) .
- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد بركات أبو علي، (الأردن، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1405هـ 1985م).
- معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغروب الإسلامي، الطبعة الأولى 1414هـ 1993م) ، الجزء الثاني.
- الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحق الشاطبي، شرح الشيخ عبد الله دراز، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط2، ج2).
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، (الدوحة: دار الثقافة، ط1، 1405هـ).
- نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني: محمد حنيف فقيهي، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية).